GENÇ MÜTEFEKKİRLER DERGİSİ
JOURNAL OF YOUNG INTELLECTUALS

e-ISSN: 2718-000X

Yıl/Year: 6, Cilt/Volume: 6, Sayı/Issue: 3

Eylül/September-2025

مهارات تحصيل العلم الشرعي في ضوء كتابي تذكرة السامع لابن جماعة وتعليم المتعلم للزرنوجي

İbn Cemâa'nın Tezkiretü's-Sâmi' ve Zernûcî'nin Ta'lîmü'l-Müteallim Kitapları Işığında İslami İlim Öğrenme Becerileri

Learning Skills in Islamic Sciences in the Light of Ibn Jamāa's Tezkiretü's-Sāmi' and Zernūcī's Ta'līmü'l-Müteallim Books

İslam ÇERKEZOĞLU

Dr. Yalova Üniversitesi İslami İlimler Fakültesi
Dr. Yalova University Faculty of Islamic Sciences

Yalova/TÜRKİYE

islamzayed20@gmail.com

https://orcid.org/0000-0001-7625-1429

Ahmed SİNANOĞLU

Doktora Ögrencisi, FSM Üniversitesi Lisansüstü Eğitim Enstitüsü, Temel İslam Bilimleri
Doctoral Student, FSM University Graduate School of Education, Basic Islamic Sciences

İstanbul/TÜRKİYE

ahmed.sinanoglu@stu.fsm.edu.tr

https://orcid.org/0009-0004-9825-5462

Atıf / Citation: Çerkezoglu, İslam- Sinanoğlu, Ahmed. "İbn Cemâa'nın Tezkiretü's-Sâmi' ve Zernûcî'nin Ta'lîmü'l-Müteallim Kitapları Işığında İslami İlim Öğrenme Becerileri". *Genç Mütefekkirler Dergisi* 6/3 (Eylül/September), 845-866.

http://doi.org/10.5281/zenodo.17157548

Yayın Bilgisi/Publication Information

Makale Türü/Article Type: Araştırma Makalesi
Geliş Tarihi/Date Received:04.05.2025
Kabul Tarihi/Date Accepted:01.09.2025
Sayfa Aralığı/ Page Range:845-866

İntihal: Bu makale, intihal.net yazılımınca taranmıştır. İntihal tespit edilmemiştir.
Plagiarism: This article has been scanned by intihal.net. No plagiarism detected.
Yayıncı / Published by: Nihat DEMİRKOL / TÜRKİYE

CC BY NC ND

ÖZET

Bu araştırma, İbn Cemâa'nın "Tazkiratü's-Sami' ve'l-Mütekellim" ve Zernûcî'nin "Talimü'l-Müteallim" adlı eserlerinde yer alan şer'î ilim elde etme metodolojilerini ve becerilerini incelemektedir. Çalışmanın temel sorunu, günümüz akademik kurumlarının çıktılarındaki eksiklikler ile bilimsel yetkinlik gereksinimleri arasındaki büyük boşluktur. Bu araştırma, söz konusu sorunu, geçmiş İslam âlimlerinin sunduğu metodolojik çözümlerle ilişkilendirmeyi amaçlamaktadır.Araştırma, İbn Cemâa'nın dört temel üzerine kurulu metodolojisini sunmaktadır: ahlaki davranışlar, şeyh aracılığıyla edinilen rehberli deneyim, aşamalı öğrenmeye dayalı eğitim metodolojisi ve zaman ile araçların etkili yönetimi. Zernûcî ise üç ana beceri grubuna odaklanmaktadır: bilimsel beceriler (doğru ilmi seçme, ezberleme, müzakere), pratik ve davranışsal beceriler (zaman yönetimi) ve ahlaki ve ruhsal beceriler (ihlas ve tevazu). Sonuç olarak, bu geleneksel metodolojilerin günümüzün aktif öğrenme, öz-öğrenme ve bilgi yönetimi gibi modern eğitim kavramlarıyla uyumlu olduğu ve hala geçerliliğini koruduğu görülmektedir. Araştırma, bu becerilerin güncel eğitim müfredatlarına entegre edilmesini tavsiye ederek, hem bilgi hem de ilmin adabına sahip âlimler yetiştirmeyi hedeflemektedir.

Anahtar Kelimeler: İlim Tahsil Metodolojileri, İbn Cemâa, Zernûcî, Şer'î Eğitim, Talebe Adabı, Öz-Öğrenme.

ABSTRACT

This research examines the methodologies and skills for acquiring Islamic knowledge as presented in Ibn Jamāʿa's "Tadhkirat al-Sāmiʿ wa-al-Mutakallim" and al-Zarnūjī's "Taʿlīm al-Mutaʿallim". The study's central problem is the significant gap between the outcomes of contemporary academic institutions and the requirements for genuine scholarly proficiency. This research aims to connect this problem with the methodological solutions offered by early Islamic scholars. The study presents Ibn Jamāʿa's methodology, which is based on four pillars: behavioral ethics, the guided experience through a sheikh, an incremental educational methodology, and the effective management of time and tools. Al-Zarnūjī, on the other hand, focuses on three main skill sets: academic skills (selecting beneficial knowledge, memorization, and scholarly discourse), practical and behavioral skills (time management), and ethical and spiritual skills (sincerity and humility).

The research concludes that these traditional methodologies remain valid and are consistent with modern educational concepts such as active learning, self-directed learning, and knowledge management. It recommends re-integrating these skills into modern educational curricula to address the current shortcomings and to graduate scholars who combine deep knowledge with the proper ethics of a student of knowledge and sound methodological skills.

Keywords: Methodologies of Knowledge Acquisition, Ibn Jamāʿa, Al-Zarnūjī, Islamic Education, Ethics of a Student of Knowledge, Self-Directed Learning.

ملخص

يتناول هذا البحث دراسة منهجيات ومهارات تحصيل العلم الشرعي كما وردت في كتابَي "تذكرة السامع والمتكلم" لابن جماعة و"تعليم المتعلم" للزرنوجي، وتكمن مشكلة الدراسة في وجود فجوة المخرجات التعليمية بين المؤسسات الأكاديمية المعاصرة ومتطلبات التمكن العلمي، ويهدف البحث إلى ربط هذه المشكلة بالحلول المنهجية التي قدمها العلماء الأوائل.

ويقدم البحث منهجية ابن جماعة التي ترتكز على أربعة محاور: الأخلاق السلوكية، والخبرة الموجهة من خلال الشيخ، والمنهجية التعليمية القائمة على التدرج، والإدارة الفعالة للوقت والأدوات، بينما يركز الزرنوجي على ثلاث مجموعات مهارية رئيسية: المهارات العلمية (اختيار العلم، الحفظ، المدارسة)، والمهارات العملية والسلوكية (تنظيم الوقت)، والمهارات الأخلاقية والروحية (الإخلاص والتواضع).

ويخلص البحث إلى أن هذه المنهجيات التراثية لا تزال صالحة ومطابقة لمفاهيم التعليم المعاصر مثل التعلم النشط، والتعلم الذاتي، وإدارة المعرفة، ويوصي بإعادة إدماج هذه المهارات في المناهج التعليمية الحديثة لمواجهة القصور وتخريج علماء يجمعون بين المعرفة وآداب طالب العلم والمهارات المنهجية السليمة.

الكلمات المفتاحية: منهجيات تحصيل العلم، ابن جماعة، الزرنوجي، التعليم الشرعي، آداب طالب العلم، التعلم الذاتي.

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا، وعلى آله وصحبه والتابعين، وبعد: إن تعلم مهارات تحصيل العلم وحسن الأدب في طلب العلم كان عند السابقين من العلم الذي يطلب ويتعلم ويرحل إليه من بلد لآخر، ويُجالس لأجله، يقول الذهبي: "عَنِ الحُسَيْنِ بنِ إِسْمَاعِيْلَ، عَنِ أَبِيْهِ، قَالَ: كَانَ يَجتَمِعُ فِي مَجْلِسِ أَحْمَدَ زُهَاءُ خَمْسَةِ آلاَفٍ -أَوْ يَزِيدُوْنَ- نَحْوَ خَمْسِ مائَةٍ يَكْتُبُوْنَ، وَالبَاقُوْنَ يَتَعلَّمُوْنَ مِنْهُ حُسْنَ الأَدَبِ وَالسَّمْتِ"[1].

وقد أورد ابن جماعة آيات وأحاديث في فضل العلم والحث على طلبه مما لا يغيب على أحد من طلاب العلم، إلا أنه أشار إلى نقطة مهمة وهي: أن الاشتغال بالعلم أفضل من نوافل العبادات من صلاة وصيام وتسبيح وذكر التي لا يتعدى نفعها إلى الغير، وذلك من ستة أوجه:

- نَفْعَ العِلْم يَعمُّ صاحبَهُ والنَّاسَ، والنَّوافِلُ البدنية مقصورة على صاحبها.
- العِلْمَ مُصَحِّحٌ لغيرِهِ من العباداتِ، فَهِيَ تَفْتَقِرُ إليهِ وتَتَوقَّفُ عليه ولا يَتَوقَّفُ هو عليها.
- العلماء ورثة الأنبياء وليس ذلك للمُتَعبّدينَ.
- طاعةَ العالم واجبة على غيره فيه.
- العِلْمُ يَبْقَى أَثَرُه بعد موتِ صاحبِهِ، وغيرُه مِنَ النَّوافِلِ يَنْقَطِعُ بموتِ صاحبه.
- في بقاء العِلْمِ إِحْياءَ الشَّريعةِ وَحِفْظ معالمِ المِلَّةِ.[2]

مشكلة البحث:

على الرغم من انتشار الكليات في الجامعات الحكومية والخاصة والمعاهد الشرعية التي تستقطب أعدادًا كبيرة من طلاب العلم الشرعي، وما تقدمه من برامج أكاديمية متخصصة، إلا أن الواقع العملي يشير إلى وجود فجوة كبيرة بين مخرجات هذه المؤسسات ومتطلبات التمكّن العلمي الشرعي.

حيث يلاحظ أن شريحة واسعة من الخريجين، بعد سنوات طويلة من الدراسة، ما يزالون يفتقرون إلى الملكة العلمية والمهارات التطبيقية التي تؤهلهم للتعامل مع الواقع من خلال النصوص الشرعية، وتحليل القضايا المستجدة، أو تحرير المسائل، أو البناء في العلم وترسيخ التراكم المعرفي.

هذه الظاهرة لا تُثير التساؤل حول فاعلية المناهج التعليمية المعاصرة فحسب، بل تُعيدنا إلى التساؤل الأهم والرئيسي عن مدى استيعاب هذه المناهج للتجارب والأصول المنهجية التي رسّخها علماؤنا في السابق وتم تدوينها في تراثنا المجيد، والتي كانت كفيلة بعلاج هذه الظاهرة.

إنّ هذه الفجوة ليست وليدة العصر، بل هي إشكالية قديمة جديدة، لُوحظت وعُولجت من قِبَل علماء الأمة في مؤلفاتهم التي ركزت على آداب الطلب ومنهجيات تحصيل العلم، ومن أبرز هذه المؤلفات كتاب تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة، وتعليم المتعلم طريق التعلم للزرنوجي.

وتأسيساً على ذلك، تهدف هذه الورقة البحثية إلى تشخيص المشكلة الراهنة وربطها بالحلول المنهجية التي قدمها هؤلاء العلماء.

---

[1] الذهبي، شمس الدين، سير أعلام النبلاء، تح: صالح السمر، (بيروت، الرسالة 1405ه-1985م)، 316/11.

[2] ابن جماعة، بدر الدين محمد، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، اعتنى به: محمد بن مهدي العجمي، (بيروت، دار البشائر، ط3 1433ه-2012م)، ص 44.

منهج البحث

يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، حيث يقوم بوصف منهجي شامل للمهارات والآداب التي وردت في كتابي "تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم" لابن جماعة، و"تعليم المتعلم طريق التعلم" للزرنوجي، ثم ينتقل إلى مرحلة التحليل، وذلك بتصنيف هذه المهارات، واستخلاص المبادئ التربوية الكامنة وراءها، وربطها بمفاهيم التعليم المعاصرة، والبحث في الجانب الموضوعي، يركز على مهارات تحصيل العلم وآدابه كما وردت في الكتابين المذكورين دون غيرهما من مؤلفات العلماء.

الدراسات السابقة:

- الأساليب التعليمية عند الزُرْنُوجي في كتابه تعليم المتعلم طريق التعلم، م خالد أحمد سليمان، مجلة مداد الآداب، العدد 15، العراق 2018م، وتركز هذه الدراسة على استخلاص المبادئ التربوية من كتاب "تعليم المتعلم" وربطها بالنظريات التربوية المعاصرة، وهو ما يخدم جانب المقارنة والتطبيق في هذا البحث.
- مبدأ التدرج في التعليم عند الإمام ابن جماعة وتطبيقاته التربوية "دراسة تحليلية"، د. هدى عبد ربه حميد القرشي قسم السياسات التعليمية، كلية التربية، جامعة أم القرى، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، المجلد الرابع والعشرون، العدد :4 الجزء :4 لسنة 2024م، هدفت الدراسة تناول مبدأ التدرج في التعليم عند الإمام ابن جماعة وتطبيقاته التربوية بصورة تحليلية، ولتحقيق هذا الهدف استخدمت الدراسة المنهجين التاريخي والوصفي، وجاءت مشتملة على إطار عام شمل مقدمتها ومشكلتها وأسئلتها وأهدافها وأهميتها ومنهجها وحدودها.
- وأوسع دراسة كتبت عن القاضي بدر الدين ابن جماعة دراسة أعدها الدكتور عبد الجواد خلف بعنوان القاضي بدر الدين ابن جماعة حياته وآثاره تقع في (٤٣٨) صفحة، طبعت بالقاهرة سنة (١٤٠٨هـ) ضمن سلسلة منشورات جامعة الدراسات الإسلامية / كراتشي – باكستان.

وقد انتظم البحث في مطلبين وخاتمة، وهي على التفصيل الآتي:

1. المنهجية في تحصيل العلم الشرعي عند ابن جماعة:

1.1. تعريف موجز بابن جماعة (639-733هـ/1241-1333م)

اسمه وصفاته: محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي، بدر الدين، أبو عبد الله، قاض، من فقهاء الشافعية، عالم بالحديث والفقه والتفسير والأصول.

نشأته العلمية: ولد في حماه ونشأ في بيت علم وديانة وقضاء، فأبوه القاضي برهان الدين ابن جماعة من أهل العلم، وجده كذلك، قرأ القرآن على والده، وأتقن كثيراً من المتون، أخذ أكثر علومه عن القاضي تقي الدين ابن رزين، وقرأ النحو على الإمام ابن مالك، كان رحمه الله مكباً على العلم، مجتهداً في التحصيل، ففاق أقرانه، وعُرضت فتواه قديماً على النووي فاستحسن جوابه، وظهرت فضيلته.

شيوخه: ولما شب سمع من شيخ شيوخ حماة شرف الدين عبد العزيز الأنصاري، وسمع من الرضي ابن البرهان، والتاج ابن القسطلاني، والرشيد العطار، والتقي ابن أبي اليسر وغيرهم.

الوظائف التي تقلدها: ولي الحكم والخطابة بالقدس، ثم القضاء بمصر، فقضاء الشام، ثم قضاء مصر إلى أن شاخ وعمي وثقل سمعه، فطلب الإعفاء من القضاء فأعفي، ولزم داره إلى أن مات.
أما التدريس، فله في ذلك جهود مشكورة، ففي دمشق: درس في القيمرية، والعادلية الكبرى والشامية البرانية، وغيرها، وفي القاهرة درس في الصالحية، والناصرية، والكاملية وجامع الحاكم، وجامع ابن طولون، وغيرها
تلامذته: وقد تتلمذ له خلق أبرزهم ابنه عز الدين (ت: ٧٦٧هـ)، والصلاح الصفدي (ت: ٧٦٤ هـ)، والشمس الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، والتاج السبكي (ت: ٧٧١هـ).
مؤلفاته: من كتبه: غرر البيان لمبهمات القرآن، والفوائد اللائحة من سورة الفاتحة، وكشف المعاني في المتشابه من المثاني، المنهل الروي، والفوائد اللائحة من سورة الفاتحة، والتبيان لمهمات القرآن، والمسالك في علوم المناسك والنجم اللامع في شرح جمع الجوامع، وغيرها.
وفاته: وبعد حياة حافلة توفي الإمام ابن جماعة ليلة الاثنين الحادي والعشرين من جمادى الأولى سنة ثلاثة وثلاثين وسبع مائة، فرحم الله ابن جماعة وأجزل له الثواب.[3]

2.1. منهجيات تحصيل العلم عند ابن جماعة:

يطلُّ علينا الإمام ابن جماعة، من بين طيات الزمن، ليقدم في *تذكرة السامع والمتكلم* منهجًا فريدًا في تحصيل العلم الشرعي، هو بمثابة خريطة طريق لكل طالب علم شرعي، وما زال هذا المنهج ينبض بالحياة، تتلقفه الأجيال جيلًا بعد جيل؛ فها هي الأرقام تروي قصته على منصات التواصل في العصر الحديث، حيث تجاوز عدد مشاهدات شروحاته على يوتيوب فقط الخمسة وثمانين ألفًا 85000[4]، ليكون شاهدًا على خلود منهجه وقوة بيانه.
وحين نمعن النظر الكلي في المنظومة التعليمية التي تجمع بين المكونات الآتية:
- الإنسان (عالماً كان أو طالب علم)
- المكان (المؤسسة التعليمية – حكومية- أهلية- وقفية-خاصة- افتراضية...إلخ)
- الزمان (المراحل التعليمية المختلفة)
- الظرف (ويقصد به العوامل المحيطة والمؤثرة سياسية اقتصادية اجتماعية...إلخ)
نجد أن ابن جماعة ركز على الإنسان وفق رؤية رباعية تتمثل في الآتي:

[3] طبقات الشافعية للسبكي (٩/١٣٩)، الوافي بالوفيات للصفدي (٢/١٨)، معجم المحدثين للذهبي (١/٢٠٩)، البداية والنهاية لابن كثير (١٤/١٧١)، طبقات الشافعية للإسنوي (١/٣٨٦)، تتمة المختصر لابن الوردي (٢/٤٢٨).
[4] أحصيت مشاهدات ثلاثة شروح للكتاب فقط هي: شرح الشيخ صالح العصيمي، شرح الدكتور أمين قادري، شرح الشيخ وليد بغدادي.

أولاً: الأخلاق السلوكية:

الأخلاق السلوكية في رحلة طلب العلم الشرعي خاصة تُعَدُّ حجر الزاوية في بناء شخصية طالب العلم، فهي ليست مجرد آداب شكلية، بل هي أسس وقواعد تضمن دوام المقصد وسلامة المسار، فما جادت به تجارب المشايخ أنه لا يسقط عالم في وسط الطريق أو منتهاه إلا لكِبر في نفسه أو ذنوب بينه وبين ربه، وفي هذا السياق يقدِّم الإمام ابن جماعة في كتابه "تذكرة السامع والمتكلم" منهجاً متكاملاً في تهذيب النفس والارتقاء بالسلوك، سبق به زمانه، وتوافقت مبادئه مع أحدث المناهج المعاصرة في علم النفس والتربية، تمثل في الآتي:

- تطهير القلب من خبيث الصفات ليصلح لقبول العلم.
- حسن النية في العلم.
- جمع القلب على العلم.
- القناعة باليسير من الدنيا والصبر على الفقر في سبيل طلب العلم.
- أكل القدر اليسير من الحلال.
- مراقبة أحوال النفس في أوقاتها المختلفة.
- الاتصاف بالورع.
- التقليل من الأكلات التي تسبب البلادة وضعف الحواس.
- العناية بالبدن.
- ترك صحبة السوء[5]

ثانياً: الخبرة الموجهة.

وذلك من خلال مراعاة اختيار الأستاذ أو الشيخ، فلن يستطيع طالب العلم أن يجعل من نفسه طالب علم بحق يتلقى العلوم ويبصر مقاصدها ويلم بدوائرها، إلا بوجود أستاذ يعطى لتلميذه عصارة علمه وخبرة عمره، سواء من ناحية المشافهة والتفاعل المباشر، أو من جهة النقل الدقيق، وكذلك من زاوية التحليل العميق لدقائق ومسائل العلم، وهذه من سنن الله المستقرة في تعلم العلوم والفنون والصنائع، ولقد نبه على هذا الإمام مسلم في مقدمة صحيحه فقال:" ...عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ قَالَ: إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ"[6].

ولقد رسخ ابن جماعة هذه المنهجية بداية من خلال الاستشارة والاستخارة، والورع في الدين مع وجود الأهلية العلمية والأخلاقية، والمهارة في التعليم قدر المستطاع، مع التحذير الشديد من الانبهار والاقتصار على المشاهير في عصره، فالضابط في اختيار الأستاذ أو الشيخ حصول الانتفاع والإفادة.[7]

ثم ذكر ما يقرب من ثلاث عشرة وسيلة عرفية لحماية ورعاية هذه المنهجية وهي[8]:

الأول: اختيار الشيخ الأنفع.

[5] ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، ص 86-95.
[6] النيسابوري، أبو الحسين مسلم، صحيح مسلم، تح: محمد ذهني أفندي وآخرون، (تركيا، دار الطباعة العامرة، 1334ه)، 11/1.
[7] ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، ص 96. بتصرف
[8] المرجع السابق، ص 96-111.

الثاني: الانقياد للشيخ في أموره وعدم الخروج عن تدبيره.
الثالث: إجلال الشيخ.
الرابع: معرفة فضل الشيخ وحفظ حقه.
الخامس: الصبر على جفاء الشيخ.
السادس: شكر الشيخ على اعتنائه به.
السابع: أدب الدخول والاستئذان على الشيخ.
الثامن: أدب الجلوس عند الشيخ.
التاسع: حسن مخاطبة الشيخ.
العاشر: أدب الاستماع للشيخ.
الحادي عشر: أدب الكلام مع الشيخ حال الدرس.
الثاني عشر: أدب خدمة الشيخ.
الثالث عشر: أدب المشي مع الشيخ[9].

دارت هذه الآداب في فلك إظهار الإجلال للمعلم، والتقدير لعلمه، ومراعاة خاطره والتلطف معه والتأدب في كلامه وذكره بالخير والدعاء له ومراعاة ذريته، ونسب النفائس والتحقيقات التي لشيخه، والصبر على جفوة العلم، وتقبل النصح والتوجيه مع الفرح بذلك ...إلخ، مع التأكيد أن ذلك تابع لقاعدة العرف؛ فعلى سبيل المثال نجد في واقعنا المعاصر أن الجلوس أمام الشيخ في المسجد يختلف عنه في قاعة الدرس أو قاعة التدريب، وكل ذلك لا يقلل من احترام الأستاذ ومكانته.

ثالثاً: المنهجية التعليمية:

كما تستند هذه المنهجية إلى مبدأ مراعاة فقه الأولويات وتقديم ما حقه التقديم، وذلك على الشكل التالي:

- الاعتناء بالقرآن الكريم حفظاً وتفسيراً وتدبراً وعملاً.
- الاعتناء بالحديث الشريف حفظاً وشرحاً وعملاً.
- المختصرات في أصول العلم.
- صحبة الشيخ في تعلم الأصول مع مراعاة الأدب معه في القراءة والجلوس.
- البدء بالمتوسطات في علم من العلوم.
- الشروع في المطولات.
- السؤال عما أشكل عليه.
- التصنيف لنفسه ولغيره.[10]

يمثل القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف الركيزة الأولى والأساس الأهم في بناء شخصية طالب العلم الشرعي وتحصيله، ومن هذا المنطلق، تتأسس منهجية التعلم على مبدأ التدرج المتقن، حيث يبدأ الطالب بـإتقان المختصرات ومداخل العلوم، ثم يتدرج بصورة ممنهجة من الكتب المتوسطة إلى الشروح والمطولات.

[9] ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، ص 96-111.
[10] ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، ص 112-124.

ولا تقتصر هذه المنهجية على التلقي فحسب، بل تتعداها إلى التعلم النشط والإنتاج العلمي، فبمداومة الطالب على السؤال والاستفسار، وتدوين الملاحظات، والشروع في التحشية والتصنيف والكتابة لما يفتح الله عليه من الفوائد والتحقيقات، ويكتمل بناؤه العلمي وينتقل من مرحلة التلقي إلى مرحلة الإفادة، ليصبح بذلك خليفة لمن سبقه في ميادين العلم، وصدق من قال: "كم ترك السابق للّاحق".

رابعاً: الإدارة للوقت والأدوات

وقد تجاوزت منهجية ابن جماعة في تحصيل العلم الجوانب الأخلاقية والمعرفية لتشمل بعدًا إداريًا بالغ الأهمية، يتمثل في الإدارة الفعالة للوقت والأدوات التعليمية، فالعلم ليس مجرد معلومات تُكتسب، بل هو ملكة ومنظومة تُدار وتُنظَّم، فلقد وضع ابن جماعة أسسًا راسخة لما يُعرف اليوم بـإدارة المعرفة الرقمية والمادية، حيث أكد على ضرورة ما يأتي:

- العناية بجمع الكتب.
- مراعاة إعارة الكتب واستعارتها.
- صيانة الكتب وترتيب المكتبة.
- التأكد من سلامة الكتاب قبل أخذه.
- تحسين الخط، والمختار من أدوات الكتابة.
- التصحيح والضبط.
- التخريج وكتابة الحواشي.
- تمييز الأبواب والفصول ونحوها في الكتاب.[11]

بهذا، يثبت ابن جماعة أن نجاح طالب العلم لا يعتمد فقط على ذكائه وجهده، بل على قدرته على إدارة موارده المعرفية بأسلوب منهجي منضبط، يضمن استثمار وقته وأدواته بأعلى كفاءة ممكنة، وهذه الأمور تنطبق على البرامج الالكترونية والمكتبات الرقمية وبرامج الذكاء الاصطناعي.

2. **المنهجية في تحصيل العلم الشرعي عند الزرنوجي:**

بعدما تناولنا في المطلب السابق منهجية الإمام ابن جماعة في كتابه وأهم المهارات التي يجب على طالب العلم الشرعي تحصيلها وبيان أثر تلك المهارات في تكوين ونشأة طالب العلم، فإننا في هذا المطلب نشرع في بيان منهجية تحصيل العلم الشرعي كما عرضها الإمام برهان الدين الزرنوجي في كتابه "تعليم المتعلم طريق التعلم"، وبيان أهم وأبرز المهارات والآداب التي تناولها في كتابه، في سياق مقارنته مع ما أورده ابن جماعة في كتابه "تذكرة السامع والمتكلم"، ثم محاولة إعادة صياغة تلك المهارات بما يواكب زماننا، ومحاولة دمج تلك المهارات مع ما ذكره ابن جماعة في كتابه من مهارات، فنخرج بمنهج علمي تربوي يمكن الاستفادة منه في طريق طلب العلم الشرعي الصحيح.
وخاصة أن هذين الكتابين يُعدّان من أمهات المؤلفات في آداب طلب العلم، فكلا الكتابين لا يقفان عند الجانب الأخلاقي فقط، بل يقدمان تصورًا متكاملًا للمهارات العلمية والعملية اللازمة لطالب العلم الشرعي.

[11] ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، ص 125-135.

والإمام الزرنوجي يُعدُّ واحداً من الأعلام الذين خلّدوا بصماتهم في هذا الميدان، فبرز كتابه المشهور "تعليم المتعلم طريق التعلم"، وحظي باهتمام واسع من قبل العلماء ودرس في كثير من المدارس الإسلامية، وتداولته أيدي الطلاب على مر العصور، حتى صار مرجعًا في بناء شخصية الطالب وضبط علاقته بالعلم والمعلم.

وما ذكره الزرنوجي في كتابه عبارة عن وصف الملاحظات المبنية على التجارب الشخصية وخبرة مشايخه ومعلميه، فيعد الكتاب خلاصة لكيفية تطبيق أسس النظرية الإسلامية التربوية في عصره، ولا يمكن أن ندعي أن ما جاء به من منهج أو مهارات له السبق فيه؛ لأن عرضه لكثير من تلك المهارات امتداد لما كان معروفا قبله من الكتب والأبواب والفصول المتخصصة في العلم والتربية، وكذلك لا يمكن أن نقلل من أهمية الكتاب، فهو أحد الكتب المهمة المعتمدة في مجال التربية وطرق التعليم؛ لما له من سبق في طريقة العرض والتقسيم والشرح، فالمهارات والآداب التي عرضها تختلف عما ذكره السابقون عنه؛ لذلك فإن عملية التعرف على كتابه الذى وضعه يجب أن تنتهج السلوك المعتدل في الحكم عليه، فلا يبالغ في المدح ولا في الذم؛ لأنه يرى أن هذا الطريق هو الأسلوب الأمثل لعملية التعلم، وأن ما كتبه في كتابه هو نصيحة للمتعلمين يجب الأخذ بها حتى يصلوا إلى ما يرغبون.

وسأتناول في هذا الجزء التعريف بشخصية الزرنوجي، وبكتابه، ثم أستخلص المهارات العلمية والعملية والتربوية التي وضعها لبناء طالب العلم، مع بيان أثرها في التكوين العلمي الشرعي. وسيكون هذا الجزء من البحث بمثابة تحليل منهجي لما ذكره الزرنوجي من المهارات اللازمة لطالب العلم الشرعي، وبيان ذلك كله سيكون من خلال الفرعين التاليين:

1.2الفرع الأول: التعريف بالزرنوجي وكتابه:

اسمه ونشأته العلمية: هو الإمام العالم الفقيه برهان الدين الزرنوجي نسبة إلى بلده زرنوج، وهي من بلاد الترك، وقيل من بلاد ما وراء النهر في بلاد تركستان. ولا نعرف عن الزرنوجي الشيء الكثير؛ سوى: أنه أحد فقهاء الحنفية الذين عاشوا في شرق الدولة الإسلامية فيما وراء النهر في النصف الثاني من القرن السادس الهجري، وأوائل القرن السابع. ولم يذكر ممن ترجموا له عن مؤلفاته سوى هذا الكتاب؛ الذي يعطينا فكرة واضحة عن ثقافة عصره الذي عاش فيه، فهو العصر الذي انتشرت فيها المدارس النظامية، وازدهر فيه الفقه الحنفي.

شيوخه: كان من تلامذة الإمام علي بن أبي بكر المرغيناني الحنفي صاحب الهداية، الذي اشتهرت تصانيفه في الفقه الحنفي، فكان كثير النقل عنه في كتابه هذا، والاستشهاد بأقواله.

مؤلفاته: لم يُذكر عن حياة الزرنوجي ونشأته وشيوخه وتلاميذه ومؤلفاته الأخرى إلا ما ذكرناه، فلم يصل إلينا من مؤلفاته إلا هذا الكتاب القيم "تعليم المتعلم طريق التعلم"، فقد تناوله العلماء فمنهم من شرحه ومنهم من مدحه وغير ذلك. ويمكن أن نقول بأنه قد ترك مؤلفات علمية أخرى لم تصلنا، ويكفيه هذا الكتاب فخراً؛ لأن العلماء، والمستشرقين، والمهتمين بالتربية قد اهتموا به منذ القديم، فحققوه وشرحوه واعتنوا بتدريسه ونشره، كما أنه طبع طبعات كثيرة في الشرق، وفي الغرب.

سبب التأليف: يتبين لمن يقرأ الكتاب أن سبب تأليف الزرنوجي لكتابه، هو: بيان منهجية طلب العلم وآدابه والمهارات التي يحتاجها طالب العلم الشرعي لتحصيله، ومعالجة ظواهر الضعف في التحصيل بسبب فقدان تلك المنهجية.

بنيته: رتب كتابه في ثلاثة عشر بابا، كل باب يعالج جانبًا من جوانب مهارات التعلم أو آداب الطلب.

وفاته: لم تذكر في المراجع سنة ولادته؛ لقلة المصادر وقلة من ترجموا له، أما سنة وفاته فاختلف فيها فقيل سنة 591ه، وقيل 597ه، وقيل 593ه، وهذا التاريخ هو الذي اختاره محقق كتابه "تعليم المتعلم"[12].

2.2 منهجية الزرنوجي في تناوله لمهارات تحصيل العلم الشرعي:

في هذا الفرع نبين المنهجية التي سار على نهجها الزرنوجي في عرضه للمهارات والآداب التي يجب توفرها في طالب العلم الشرعي، ويمكن أن نحصرها في ثلاث مجموعات مهارية رئيسية، كالآتي: **المهارات العلمية، والمهارات العملية والسلوكية، والمهارات الأخلاقية والروحية.** وسنذكر تحت كل قسم من هذه المجموعات المهارية الرئيسية ما يندرج تحتها من مهارات فرعية، ثم نبين المقصود منها، ونقل بعض ما قاله الزرنوجي فيها، ومحاولة ربط كل مهارة بما يليها.

أولاً: المهارات العلمية:

تتمحور هذه الفئة من المهارات حول الجوانب المنهجية والمعرفية والعملية التي تُعين الطالب على بناء قاعدة علمية متينة، وهي الأساس الذي يقوم عليه بناء طالب العلم الشرعي الصحيح. ومن أبرزها:

- **مهارة اختيار العلم النافع:**

أول تلك المهارات العملية التي ذكرها الزرنوجي وأكد عليها هي مهارة اختيار العلم النافع قبل البدء في تعلم أي علم، وعنون لذلك بابا سماه: "فصل في اختيار العلم والأستاذ والشريك والثبات عليه"، أكد فيه أنه يجب على الطالب أن يوجّه جهوده نحو العلوم التي تنفعه في دينه ودنياه، وأن يحذر من تضييع عمره في علوم لا تعود عليه بفائدة عملية. ولهذا قال: "ينبغي لطالب العلم أن يختار من كل علم أحسنه، وما يحتاج إليه في أمر دينه في الحال، ثم ما يحتاج إليه في المآل"[13]، ثم بين بعد ذلك أن العلم النافع هو كل علم يقرب إلى الله تعالى، ويدل على معرفته وتوحيده، ويعين على أداء الواجبات وفهم أحكام شريعته، مع مراعاة حاجة الأمة وظروف الزمان والمكان. ولهذا قال: "اعلم بأنه لا يُفْتَرَض على كل مسلم، ومسلمة طلب كل علم، وإنما يفترض طلب علم الحال، كما يقال: "أفضل العلم علم الحال، وأفضل العمل حفظ الحال"[14].

ونقل عن أحدهم كلاماً قيماً، يقول فيه: "إن علم ما يقع على نفسه في جميع الأحوال بمنزلة الطعام فلا بد لكل واحد من ذلك. وعلم ما يقع في الأحايين بمنزلة الدواء، الذي يحتاج إليه في بعض الأوقات، وعلم النجوم بمنزلة المرض، فتعلمه حرام؛ لأنه يضر، ولا ينفع"[15].

وهذه المهارة تقتضي وعي الطالب بواقع أمته وظروف زمانه ومكانه، ومعرفة أولويات التخصص الشرعي الذي يبدأ به، فلا يتشتت بين فنون كثيرة دون إتقان أصل واحد، وقد كان هذا دأب العلماء

---

[12] برهان الدين الزرنوجي، تعليم المتعلم طريق التعلم، (ت: صلاح محمد الخيمي، نذير حمدان، 19. ط3، دار ابن كثير، 2014م). محيي الدين عبد القادرابن أبي الوفاء القرشي الحنفي، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، (ت: عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر، القاهرة، ط2، 1993م)، 219/4.

[13] الزرنوجي، تعليم المتعلم طريق التعلم، 47.

[14] المرجع السابق، 25.

[15] المرجع السابق، 35.

قديما، فلا ينتقلون من علم إلى آخر إلا بعد إتقانه وحفظه؛ فصاروا بحق أعلاماً في زمانهم، وتركوا بعد وفاتهم تراثاً خالدًا وآثاراً باقية.

إذاً فإن هذه المهارة تعد من أهم المهارات التي يجب على طالب العلم الشرعي المعاصر أن يأخذ بها ويحرص على تحصيلها، وخاصة أننا في زمان انتشر فيه ما يسمى "بالشتات المعرفي"، و"وهم المعرفة"، إما بسبب وسائل التواصل الاجتماعي، التي يسرت الوصول إلى المعلومات، وفتحت الباب أمام كل من هب ودبّ من الناس أن يلقي برأيه وفكره على الملأ، وإما بسبب غياب المنهجية المنضبطة في كثير من المعاهد الشرعية المعاصرة أو قصور مناهجها في ترسيخ أصول التعليم السليم؛ ولهذا فإن إضافة مثل هذه المهارات وإدراجها إلى منهاجنا التعليمية، مع صياغتها بما يتناسب مع معطيات العصر ووسائله، سيساعد الطلاب على تحقيق غاياتهم في التعلم.

- **مهارة الحفظ والمراجعة وتدرج التعلم.**

أكد الزرنوجي على أهمية الحفظ والمراجعة، والتدرج في طلب العلم الشرعي، وجعل لذلك بابا مستقلاً بعنوان: "في بداية السبق، وقدره وترتيبه"، وقد قرر أن الحفظ والمراجعة ركيزتان أساسيتان في تثبيت العلم ورسوخه في الذهن، وأكد على أن تحصيل العلم لا يتحقق بدونهما.

وأشار إلى أن الحفظ ينبغي أن يصاحبه مراجعة مستمرة وتكرارٌ وصبرٌ طويل، حتى لا يضيع جهد الطالب. وعرض في هذا الباب الطريقة التي يراها هي الأمثل لتثبيت المحفوظ، وهي الطريقة التي تلقاها عن مشايخه، وهي أن يبدأ المبتدئ بمقدار من الحفظ يمكن ضبطه بإعادته مرتين، ثم يزيد على ذلك كل يوم كلمة وإن طالت، ثم يتدرج في الزيادة شيئا فشيئا، حتى يسهل عليه تثبيت المحفوظ ومراجعته معاً، أما إن بدأ بحفظ قدر كبير منذ البداية فيؤدي في نظره إلى المشقة وصعوبة المراجعة، مستشهداً بقول بعضهم: "السبق حرف، والتكرار ألف"[16].

وأكد الزرنوجي على أنه لا غنىً عن الفهم والحفظ في طلب العلم وضرورة الجمع بينهما، ويمكن أن نشبه الحاجة إليهما بحاجة الإنسان إلى العينين، فلا تغني إحداهما عن الأخرى، كما أنه حث على أن يكون الحفظ في أوقات صفاء الذهن، مثل أول النهار، وأن يتجنب الطالب ما يشوش الذهن من انشغال أو لهو. كما أنه يربط بين جودة الحفظ وعمق الفهم، فالحفظ بلا فهم آفة، والفهم بلا حفظ ضعف في الرسوخ. وقال في ذلك: "حفظ حرفين، خير من سماع وقرين، وفهم حرفين خير من حفظ وقرين، ومذاكرة اثنين خير من هاتين"[17]. فيجب أن يجتهد في فهم ما حفظه، بالتفكر والسؤال والتأمل، وأن يدعوَ الله، ويتضرع إليه في سبيل تحصيل الفهم الراسخ.

كما أوصى طالب العلم الشرعي بأن يحفظ نسخة واحدة أو مرجعا محددا من كتب الفقه، يلازمه بالمراجعة الدائمة، والتكرار المستمر، وألا يكون له فترات انقطاع وكسل، فإن الانقطاع آفة، بل يجعل لنفسه مقدارا يوميا ثابتاً من التكرار والمراجعة، فإنه لا يستقر قلبه ويطمئن إلى رسوخ ما حفظه إلا بذلك.[18]

[16] الزرنوجي، تعليم المتعلم، 87.
[17] المرجع السابق، 88.
[18] المرجع السابق، 100.

كما أنه حث في جانب التدرج في التعليم على أن يبدأ الطالب بما هو أقرب لفهمه من العلوم، وما هو أيسر له، فقال بأن المعهود عند مشايخ عصره أنهم كانوا يختارون للمبتدئ صغار المبسوطات؛ لأنها أبعد عن الملالة وأقرب للفهم، والضبط، ورأى أن من الخطأ أن يبدأ الطالب بالفروع قبل الأصول، أو بالمطولات قبل المختصرات، بل يجب أن يسلك مسارًا تدريجيًا يبدأ بالمختصرات التي تُبنى عليها الملكة، ثم ينتقل إلى المتوسطات، حتى يصل إلى المطولات والشروح والحواشي. فإن هذا التدرج يربي الطالب على الفهم الدقيق والتحقيق العلمي.

وخلاصة ما قرره الزرنوجي في هذا الباب أن مهارة الحفظ والمراجعة والتدرج في التعلم من أساسيات التحصيل الشرعي، وإن إغفالها في كثير من المعاهد الشرعية والجامعات المعاصرة، أدى إلى ضعف الملكة العلمية عند طلابها، مما يستدعي إعادة إدراج هذه المهارات إلى منهاجنا التعليمية، مع صياغتها بما يتناسب مع معطيات العصر ووسائله.

- **مهارة تعظيم العلم ومعرفة مناقبه وفضائله.**

جعل الزرنوجي – رحمه الله – تعظيم العلم ومعرفة مناقبه وفضائله أساسًا ومهارة من مهارات تهيئة الطالب لتحصيل العلم، فافتتح كتابه "تعليم المتعلم" ببيان منزلة العلم ورفعة شأنه، مستندًا إلى نصوص الوحي وأقوال السلف الصالح. فقد استشهد بقول الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[19]، وبحديث النبي ﷺ: "من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهَّل الله له به طريقًا إلى الجنة"[20]، وغيرها من النصوص التي تجعل طلب العلم عبادةً من أجلّ العبادات.

ويرى الزرنوجي أن إدراك الطالب فضل العلم ومنزلته من أعظم البواعث على الإقبال عليه، والصبر على مشقته، وأنه سبب يرفع به المتعلم الدرجات في الدنيا والآخرة، وميراث الأنبياء الذي لا يُنال إلا بالإخلاص والمجاهدة، لا بالنسب أو المال. وقد أشار إلى أن تعظيم العلم له أثر مباشر على سلوك الطالب وأخلاقه وتفوقه؛ فيحمله على توقير معلمه، واحترام أقرانه، وتعظيم الكتب التي يدرسها، والحرص على حسن الانصات وترك الانشغال أثناء التعلم. وقد قال في ذلك: "يحصل الكسل من قِلَّةِ التَّأمل في فضائل العلم ومناقبه، فينبغي لطالب العلم أن يتعب نفسه على التحصيل، وأن يواظب على التأمل في فضائل العلم، فإنَّ العلم يبقى ببقاء المعلومات، والمال يفنى، كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه:

"رضينا قسمة الجبار فينا لنا عِلْمٌ وللأعداء مال".

ونقل عن بعضهم كذلك قوله: "حياة القلب علم فاغتنمه وموت القلب جهل فاجتنبه"[21].

ويخلص الزرنوجي في هذا الباب إلى أن طالب العلم إذا امتلأ قلبه بمعرفة مناقب العلم وفضائله هان عليه ما يلقاه من عناء الطلب، واستمر في مسيرته بثبات، بخلاف من طلبه بلا إدراك لفضله، فإنه سرعان ما يصيبه الانقطاع والملل. ومن ثم، فإن مهارة تعظيم العلم ومعرفة مناقبه تعدّ ركيزة أساسية

[19] المجادلة، 11.
[20] محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل، حديث رقم: 76، (ت: مصطفى البغا، دار ابن كثير، اليمامة، ط5، 1993م)، 37/1.
[21] الزرنوجي، تعليم المتعلم، 77.

ينبغي غرسها في مناهج التعليم الشرعي المعاصرة، لتكون دافعًا ذاتيًا يحفظ الطالب من الفتور، ويعينه على الاستمرار حتى يبلغ الغاية.

- **مهارة المدارسة والمذاكرة مع الأقران والسؤال.**

أضاف الزرنوجي رحمه الله إلى ما ذكره من مهارات علمية، مهارة المدارسة والمذاكرة بين طلاب العلم، إضافة إلى حرص الطالب على السؤال الدائم عمّا يشكل، وصرح بأن هذه المهارة تعد من أهم الوسائل التي تعين على تنمية الفهم وترسيخ المعلومات. وقد استشهد في ذلك بأقوال السلف، منها قول الحسن البصري: "مذاكرة العلم ساعة أحب إليّ من إحيائها"[22]، وقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "تذاكروا هذا الحديث، فإنكم إن لم تفعلوا يدرس"[23]، مبينًا أن العلم يضمحل ويزول إن لم يُتدارَس ويراجع.

كما يرى أن مدارسة العلم مع الأقران وتكرار ما تم تحصيله بينهم يضاعف من قوة الحفظ، ويعين على استحضار المعلومات عند الحاجة، كما يصوب الفهم ويكشف الأخطاء. ويربط هذه المدارسة بمهارة السؤال، فأكد على أن الطالب لا ينبغي أن يمنعه حياؤه من السؤال عما أشكل عليه، مستشهدًا بقول ابن عباس رضي الله عنهما: "ذللت طالبًا، فعززت مطلوبًا"، أي أنه تواضع في طلب العلم بسؤال أهله، فصار إمامًا يُقصد للعلم والسؤال. فالسؤال عما يشكل من أعظم أسباب الفهم، وتركه يؤدي إلى تراكم الجهل والتصورات الخاطئة، ولكنه حذر في الوقت نفسه من الإكثار من الأسئلة التي لا فائدة منها ولا ثمرة لها، أو التي يقصد بها إحراج المعلم أو التعنت، وعدّ ذلك من سوء الأدب المانع من بركة العلم[24].

كما أوصى باختيار المكان والوقت المناسب للسؤال، وصياغته بوضوح وإيجاز، ليكون أيسر على المعلم إجابته. ومن ثمّ خلص الزرنوجي في هذا الباب إلى أن المذاكرة مع الأقران، والسؤال عما يُشكل، يمثلان ركيزتين أساسيتين في منهج التعلم الشرعي، لما لهما من أثر بالغ في ترسيخ المعلومات وتثبيت العلم، وتوسيع المدارك، وحسن الفهم.

ثانياً: المهارات العملية والسلوكية

قد أفرد الزرنوجي في كتابه هذا جملة من المهارات العلمية والسلوكية، موجِّهًا الطالب إلى ما يضمن له التقدم في التحصيل والتوفيق في طلبه للعم، مبيّنًا طرائق عملية وأخلاقية لا غنى لطالب العلم عنها؛ وذلك لأن تحصيل العلم الشرعي لا يقتصر على الجانب النظري واستيعاب القواعد وحفظ المسائل وحسب، بل يحتاج الطالب إلى جملة من المهارات العملية والسلوكية التي تُعينه على التحصيل والمضي قدماً في العلم والاستفادة من وقته وجهده. وأول مهارة من هذه المهارات هي:

- **مهارة إدارة الوقت وتنظيمه.**

أكَّد الزرنوجي في هذا الباب الذي عنونه بـ "وقت التحصيل" على أهمية استثمار الأوقات المناسبة للتحصيل، واستغلال رأس مال الإنسان وهو الوقت في طلب العلم، فذكر أن أنفع أوقات الحفظ وقت

[22] المرجع السابق، 55.
[23] المرجع السابق، 59.
[24] المرجع السابق، 70.

السحر، ثم ما بعد الفجر، ثم وقت القيلولة. أما أنفع أوقات المذاكرة فهي الليل، وأنفع أوقات الكتابة وسط النهار. كما حذّر من ضياع الأوقات في كثرة الكلام والمزاح وإضاعة الأوقات فيما لا ينفع، وأوصى بترك الاشتغال بالعلوم الفرعية قبل إحكام العلوم الأساسية، لأن تشتت الوقت بين فنون كثيرة يذهب ببركته.

- **مهارة الاستمرارية والصبر والهمة.**

في هذا الباب الذي خصصه الزرنوجي لهذه المهارة وهو بعنوان: "فصل في الجد والمواظبة والهمة"، بيَّن أن من أعظم ما يُبلِّغ الطالبَ مراتبَ العلم اجتهاده وثباته على الطلب، وعلو همته في السعي، وصبره على المشاق. فالطالب محتاج إلى ملازمة الشيوخ ومراجعة الدروس والمطالعة والمذاكرة بلا فتور، وألا يقطع طلب العلم لأدنى عارض أو فتنة؛ لأن الانقطاع يشتت الأفكار ويورث النسيان ويذهب بما تحصَّل من الفوائد. وأكد أن الصبر على تحمل المشقة، وضيق العيش، وترك الترف من أسباب التوفيق، وضرب لذلك أمثلة من حال العلماء الذين تحملوا أنواع الصعاب في طلب العلم. كما أشار إلى أن الهمة العالية تدفع صاحبها إلى عدم القناعة بالقليل، بل يسعى لبلوغ الغاية، فإن من طلب العُلا سهر الليالي وصبر على ما يلقاه في سبيله.

- **مهارة الورع في حالة التعلّم.**

حث الزرنوجي كذلك طالبَ العلم على الورع في حال طلبه للعلم، بل جعل ذلك من أساسيات السلوك التي تحفظ للطالب قلبه ونوره. فأكد على وجوب تجنب أكل الحرام وما فيه شبهة؛ لما ينتج عن ذلك من ظلمة في القلب وإغلاق للذهن والفهم، مستشهدًا بقول بعض السلف: "من لم يصن نفسه في حال التعلم، لم ينتفع بالعلم"، وقول آخر: "الحرام ظلمة، والعلم نور، ولا يجتمع النور والظلمة". وأوصى الطالبَ بالاقتصار على المباح، والبعد عن مواطن الشبهات والريب، وأن يتحلى بالتقوى في السر والعلن، فبركة العلم ودوامه مقرونة بصفاء القلب وطهارة المطعم والمشرب. كما أشار إلى أن الورع يشمل ترك الغيبة والنميمة، والبعد عن الجدال والنقاشات المذمومة، والتحلّي بالأمانة في النقل والبحث[25].

- **مهارة اختيار الصاحب والشريك الصالح في طريق الطلب.**

نبّه الزرنوجي كذلك إلى أهمية صحبة الصالح من الطلبة، الذي يعين على طلب العلم، ويذكّر بالله، ويحثّ على الجد والاجتهاد. وحذّر من صحبة السوء كالبطالين أو المشتغلين باللهو واللعب، لما في ذلك من ضياع الوقت وإضعاف الهمم.

- **مهارة التوكّل.**

أكّد الزرنوجي في باب مستقل سماه: "فصل في التوكل" على أن التوكل على الله من أهم المهارات والوسائل التي تعين طالب العلم على التحصيل، فلا بد أن يكون اعتماد الطالب دائماً على الله تعالى وحده في تحصيل العلم، لا على ذكائه وحفظه وقوة ذاكرته وفهمه، فإن التوفيق محض فضل من الله. وذكر أن من توكل على الله كفاه، وأن على الطالب أن يقرن اجتهاده في الطلب بصدق اللجوء إلى

[25] المرجع السابق، 121.

الله، ودوام الدعاء، وحسن الظن به، لأن العلم رزق من الأرزاق، والله هو الرزّاق المعطي. كما نبّه إلى أن التوكّل لا يعني ترك الأخذ بالأسباب، بل يجمع الطالب بين بذل الجهد في التحصيل، والاعتماد القلبي على الله في النتيجة، وكما قال أحدهم: إذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجني عليه اجتهاده.

- **مهارة معرفة ما يورث الحفظ وما يورث النسيان من العادات الخاطئة في المأكل والمشرب والنوم.**

أفرد الزرنوجي فصلاً عن مهارة عملية مهمة يجب أن يهتم بها طالب العلم وهي معرفة الأسباب التي تقوّي الحفظ وتعين على ثبات العلم، وعن الأمور التي تضعفه وتورث النسيان. فذكر أن من أسباب الحفظ المواظبة على قراءة القرآن، والمحافظة على العبادات في أوقاتها، إلى جانب اجتناب المعاصي، فإنها تمنع الفهم وتظلم القلب. كما أشار إلى أن الاعتدال في الطعام والشراب، والاقتصار على الحلال الطيب منه، له أثر في قوة الذاكرة وصفاء الذهن، وأن الإفراط في النوم والأكل يورث البلادة والنسيان.

وبيّن أن من أسباب النسيان كثرة الاشتغال بما لا يعني من أمور الدنيا، والتعلق بالملهيات، والإفراط في الضحك، وكثرة المزاح. ونبّه إلى أن طالب العلم ينبغي أن يعتني بجسده وصحته، لأن سلامة البدن تعين على دوام التحصيل، وأن يهتم بما يأكل ويشرب، فيختار ما يغذّي جسده ولا يثقل ذهنه، طلبًا لقوة الحفظ وصفاء الذهن.

ثالثاً: المهارات الأخلاقية والروحية

بعد أن تناولنا المهارات العلمية والعملية والسلوكية في الفرعين السابقين، ننتقل إلى الفرع الثالث الذي يركز على المهارات الأخلاقية والروحية، وقد أولى الزرنوجي الجانب الأخلاقي والروحي اهتماماً بالغاً في طريق تحصيل طالب العلم الشرعي، مؤكدًا أن طالب العلم الشرعي لا يكتمل طلبه للعلم إلا بصقل النفس وتزكيتها، وتهذيب سلوكها، والتحلي بالأخلاق الحميدة والصفات الفاضلة التي تصون الطالب من الانحراف والفتور.

فالطالب المتمكن أخلاقيًا وروحيًا هو الذي يجمع بين العلم والعمل، ويستمد قوته الداخلية من التقوى والورع والإخلاص والصدق في الطلب، والنية الصالحة، والتوكل على الله. وهذه المهارات تُكسب الطالب صفاءً في النفس، ورفعًا في القدر بين الناس، وثباتاً في العلم، وتُهيئ له بيئة أخلاقية تعينه على الانتفاع بالعلم والنفع به للآخرين. وأولى هذه المهارات:

- **مهارة إخلاص النية لله.**

إخلاص النية لله في طلب العلم هي أولى المهارات بل أول باب بدأ به الزرنوجي كتابه؛ لأهميته، فإخلاص النية من أهم وأبرز المهارات الأخلاقية التي ينبغي لطالب العلم عموماً والشرعي خصوصاً أن يتحلّى بها، إذ هو أساس قبول الأعمال عند الله تعالى، وميزان صلاحها وفسادها. وقد أكدَّ

الزرنوجي على أن العلم عبادة، والعبادة بدون نية خالصة لا تصح، فقال: "فينبغي لطالب العلم أن يُخلِص النية لله تعالى في طلب العلم، ولا يقصد به الرياء ولا المباهاة ولا الدنيا، فإن العلم عبادة"[26].

ويظهر أثر إخلاص النية لطالب العلم في توجيه مقصده إلى وجه الله تعالى، وأن العلم وسيلة لا غاية، وسيلة يتقرب بها إلى الله ويستعين بها على معرفة أوامره ونواهيه، فيسعى بالعلم إلى العمل والاهتداء، لا إلى المباهاة أو تحصيل المال والجاه. كما حذّر الزرنوجي من فساد النية، وبين أن فسادها من أعظم أسباب حرمان بركة العلم وثمرته.

وعليه؛ فإن تمكّن الطالب من إخلاص النية دائما لله في طلبه للعلم وفي كل أحواله وأعماله، فإن ذلك يثمر له علماً نافعاً مباركاً، ويزيده توفيقاً وفهماً، بخلاف من طلب العلم لغرض دنيوي، فإن علمه يذهب هباءً منثورا، لا بركة فيه ولا نفع.

- **مهارة التواضع للعلماء والرفقاء.**

كذلك من المهارات الأخلاقية التي أكد عليها الزرنوجي في كتابه: هو تواضع الطالب للعلماء والرفقاء. فالتواضع زينة العلم، وبه تُنال بركته، بخلاف الكبر فإنه يمنع الانتفاع، ويحجب الفهم.

ويظهر أثر هذه المهارة في سلوك الطالب مع شيوخه؛ إذ يقابلهم بالاحترام والتقدير والهيبة، ومع رفقائه بالرفق واللين وحسن المعاشرة. وهذا التواضع إنما يعكس صفاء قلب صاحبه وصدق نيته في الطلب، ويُنمّي روح الأخوة والمودة، ويجعل بيئة التعلم صالحةً للتعاون وتبادل الفوائد. وقد جاءت النصوص الشرعية مؤكدة على هذا المعنى، قال النبي ﷺ: "وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ"[27]. ومن ثمّ فإن التواضع ليس خُلقًا محمودًا فحسب، بل هو سبب لرفعة الطالب في الدنيا والآخرة، وزيادة وبركة في علمه.

- **مهارة ترك الكبر والجدل العقيم.**

من المهارات الأخلاقية التي حث على تركها الزرنوجي وشدد عليها لطالب العلم، هي: ترك الكبر والجدل العقيم. فالجدل المذموم لا يُثمر علمًا، وإنما يُورث العداوة والبغضاء بين الأقران وبين الطالب وشيخه، كما أنه يذهب بركة العلم، وهو في الغالب يكون ثمرة الكبر وحب الظهور، قال الزرنوجي: "وينبغي أن يترك المراء والجدال في العلم، فإنه يذهب نور العلم، ويقسي القلب، ويثير العداوة"[28].

وتتجلى أثر هذه المهارة في سلوك الطالب باتباع الحق وقبوله ممن جاء به، صغيرًا كان أو كبيرًا، وعدم السعي وراء الانتصار لنفسه، وترك الخصومات والجدالات التي لا يقصد بها الوصول إلى الحق. فالجدال المحمود هو الذي يقصد به بيان الحق وإيضاحه، أما العقيم فهو مضيعة للوقت، ومفسدة للقلوب.

[26] المرجع السابق، 14.
[27] مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع، 21/8.
[28] المرجع السابق، 120.

- **مهارة الشفقة والنصيحة.**

كذلك من المهارات الأخلاقية التي أولاها الزرنوجي اهتماماً: التحلّي بالشفقة على الأقران، وبذل النصيحة لهم. فالعلم رحمة، ومقصده دلالة الناس على الخير وهدايتهم، ولا يتمّ ذلك إلا إذا كان الطالب رحيما برفقائه مشفقا عليهم، دائم النصح والإرشاد لهم. قال الزرنوجي: "وينبغي لطالب العلم أن يشفق على إخوانه، وينصح لهم، ولا يغشهم"[29].

وتبرز أهمية هذه المهارة في طريق تحصيل طالب العلم في معاملته لأقرانه، إذ يصبر على تقصيرهم، ويعاملهم بالإحسان، ويعينهم على التحصيل، وينصح لهم بإخلاص وصدق، بعيدًا عن الحسد والغل. كما يظهر أثرها في علاقته بالناس عامة، فيكون علمه سببًا للهداية لا وسيلة للتنفير أو الاستعلاء. ومن ثمّ فإن الشفقة والنصيحة تُعدّان من علامات صدق العلم، وثمراته العملية، وأسباب نفعه وانتشاره.

[29] المرجع السابق، 105.

الخاتمة

بعد استقراء منهجية كلٍّ من الإمامين ابن جماعة، والإمام الزرنوجي في كتابيهما "تذكرة السامع والمتكلم"، و"تعليم المتعلم طريق التعلم" ، تبيّن أن هذين الإمامين يمثلان نموذجين رائدين في التأصيل لمهارات تحصيل العلم الشرعي لطالب العلم، وبيان منهجية تدرجه في التعلم، من حيث شمولية المنهج والرؤية، فربطا الجانب العلمي بالجانب الأخلاقي والروحي، كما أنهم دمجا الجانب العملي والسلوكي بالتحصيل المعرفي. وقد برزت شمولية منهجهما وسعة رؤيتهما من خلال التحليل والمقارنة بين منهج كلٍ منهما، وتبين أن ما طرحاه من مهارات ليس وليد عصرهما فقط، بل هو نتاج تراكم علمي وتربوي يعكس خبرة الأجيال السابقة، مع إبداع في العرض والترتيب والصياغة.

وأظهر البحث أن المهارات التي ركز عليها الإمامان يمكن تصنيفها في ثلاث مجموعات رئيسية:

1. مهارات علمية: مثل اختيار العلم النافع، والشيخ المناسب، والتدرج في طلبه، والربط بين الحفظ والفهم.
2. مهارات عملية وسلوكية: مثل إدارة الوقت وتنظيمه، والجد والمواظبة والهمة والصبر، والورع.
3. مهارات أخلاقية وروحية: مثل إخلاص النية، والتواضع، وترك الجدل العقيم، والشفقة والنصيحة.

وتتجلى قيمة هذا البحث في إبراز كيفية تكييف تلك المهارات والآداب ودمجها في بيئات التعليم الشرعي المعاصرة، وذلك عبر الاستفادة منها في مناهجهم، والاستعانة بالوسائل الحديثة كالمنصات التعليمية الرقمية، والتقنيات التفاعلية، وبرامج الإرشاد الأكاديمي، مما يضمن أن تبقى هذه المهارات والقيم والآداب حاضرة وفاعلة في تكوين شخصية طالب العلم اليوم.

إن النتيجة الجوهرية والثمرة التي وصل إليها البحث هي أن تراثنا التربوي الشرعي يمتلك من العمق والدقة والمرونة ما يجعله صالحًا للتطبيق في مختلف الأزمنة، شريطة أن يُعاد عرضه بصياغة تناسب أدوات العصر ولغته، دون الإخلال بجوهره. فبهذا فقط يمكن بناء طالب علم شرعي يجمع بين أصالة المنهج وقوة التحصيل والتأهيل، وبين لذة العلم وفضائل الأخلاق، ليكون له دور وأثر في مجتمعه وأمته، وأن يكون مؤهَّلًا للإسهام في معالجة قضايا الأمة ونوازلها على بصيرة.

أهم النتائج الذي وصل إليها البحث:

1- تبين من خلال عرض منهج كل من الإمامين (ابن جماعة والزرنوجي) أنهما قدّما رؤية متكاملة وشاملة في مهارات وآداب طلب العلم، حيث إن منهجهما يمزج بين الجانب العلمي (المعرفة) والجانب القيمي (الأخلاق)، وهو ما تفتقده كثير من مناهج اليوم.
2- تبيّن أن الزرنوجي ركّز على المهارات العملية والتنظيمية (كالوقت، المراجعة، ترتيب العلوم)، بينما ركّز ابن جماعة أكثر على آداب المعلم والمتعلم وعلاقة الطالب بالعلماء.
3- يظهر بعد تحليل الكتابين أنهما يتسمان بالبساطة والوضوح، وأنهما مبنيان على تجارب واقعية وخبرات متراكمة لعلماء عاشوا في عصر ازدهار التعليم الشرعي.

4- يكشف البحث أن بعض المهارات المذكورة في الكتابين يمكن تطبيقها في تعليمنا المعاصر، فأغلبها لا يزال صالحاً للتطبيق، مثل:

- التدرج في التعلم.
- الحفظ والتكرار والمراجعة.
- المدارسة والمذاكرة.
- الورع والتواضع.

5- نجد أن ضعف التحصيل لدى بعض طلاب العلم اليوم أكثره راجع إلى إهمال هذه المهارات التربوية، والتركيز على الجانب النظري دون الجانب العملي والأخلاقي.

أهم التوصيات:

1. ضرورة إعادة إدماج هذه المهارات في مناهج التعليم الشرعي المعاصر، سواء في المدارس الشرعية أو في الجامعات كمخرجات تعليمية واضحة.
2. تدريس هذين الكتابين في المعاهد الشرعية والجامعات في السنة الأولى قبل الشروع في العلوم حتى يكون الطالب على بصيرة بأهم مهارات التحصيل التي تعينه على الطلب، مع شروح تطبيقية وعملية لهما.
3. كتابة أبحاث تقارن بين هذين الكتابين والنظريات التربوية المعاصرة للاستفادة من نقاط الالتقاء بينهما.
4. الاهتمام بالجانب الأخلاقي والروحي لطالب العلم، وعدم الاكتفاء بالجانب النظري فقط.
5. تطوير مقررات خاصة في الكليات والمعاهد الشرعية تحت عنوان *مهارات وآداب طلب العلم*، تعتمد على هذين الكتابين وغيرهما من كتب التراث الإسلامي.
6. توظيف الوسائل التقنية الحديثة (منصات التعليم الإلكتروني) لإحياء هذه القيم والمهارات وصياغتها في صورة تناسب العصر.

المصادر والمراجع

1. ابن أبي الوفاء القرشي الحنفي، محيي الدين عبد القادر، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، (القاهرة: دار هجر، ط2، 1993م).
2. ابن جماعة، بدر الدين محمد، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، اعتنى به: محمد بن مهدي العجمي، (بيروت: دار البشائر، ط3، 1433ه-2012م).
3. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، (مصر، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ط1، 1420ه)
4. ابن الوردي، عمر بن مظفر، تتمة المختصر. قدم له السيد محمد مهدي الخرسان، (إيران، المطبعة الحيدرية، 1969م)
5. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل، حديث رقم: 76، تحقيق: مصطفى البغا، (دمشق–بيروت: دار ابن كثير، اليمامة، ط5، 1993م).
6. الزرنوجي، برهان الدين، تعليم المتعلم طريق التعلم، تحقيق: صلاح محمد الخيمي، نذير حمدان، (بيروت: دار ابن كثير، ط3، 2014م).
7. السبكي، تاج الدين، طبقات الشافعية. المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، (مصر، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، 1413ه)
8. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، (بيروت، دار إحياء التراث، 1420ه-2000م)
9. النيسابوري، أبو الحسين مسلم، صحيح مسلم، تحقيق: محمد ذهني أفندي وآخرون، (إسطنبول: دار الطباعة العامرة، 1334ه).
10. الذهبي، شمس الدين، سير أعلام النبلاء، تحقيق: صالح السمر، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1405ه-1985م).
11. الذهبي، شمس الدين، معجم المحدثين، تحقيق: د. محمد الحبيب الهيلة، (الطائف، مكتبة الصديق، ط1، 1408ه-1988م)
12. الإسنوي، جمال الدين عبد الرحيم، طبقات الشافعية، تحقيق: كمال يوسف الحوت، (بيروت، المكتبة العلمية، ط1، 2002م)

Etik Beyan / Ethical Statement

Bu çalışmanın hazırlanma sürecinde bilimsel ve etik ilkelere uyulduğu ve yararlanılan tüm çalışmaların kaynakçada belirtildiği beyan olunur.
It is declared that scientific and ethical principles have been followed while carrying out and writing this study and that all the sources used have been properly cited.

Yazar(lar) / Author(s)
Ahmed SİNANOĞLU / İslam ÇERKEZOĞLU

Finansman / Funding
Yazar bu araştırmayı desteklemek için herhangi bir dış fon almadığını kabul eder.
The author acknowledges that received not external funding support of this research.

Çıkar Çatışması / Competing Interests
Yazar, çıkar çatışması olmadığını beyan ederler.
The author declares that he have no competing interests

Yazar Katkıları / Authors Contributions:

Çalışmanın Tasarlanması / Conceiving the Study	**:** YET (%50), MS (%50)
Veri Toplanması / Data Collection	**:** YET (%50), MS (%50)
Veri Analizi / Data Analysis	**:** YET (%50), MS (%50)
Makalenin Yazımı / Writing up	**:** YET (%50), MS (%50)
Makale Gönderimi ve Revizyonu / Submission and Revision	**:** YET (%50), MS (%50)